مصطفى كامل الشيبي جهوده الفكرية ومساجلاته الصوفية

م.م تغريد جياد ضاري
قسم الفلسفة- كلية الآداب- جامعة بغداد
TagReeddir@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

قد عالج الشيبي في كتاباته ومحاضراته وحواراته قضايا فكرية فلسفية صوفية، وقد يعتبر البعض ان التصوف ليس له علاقة بالفلسفة ، ونحن نقول إن التصوف عالج مشكلات في فلسفة الوجود والمعرفة ، ففي الوجود قد ينكر السالك وجوده ويبقى في الوجود الإلهي، وقد لا تسعفه المعرفة العقلية والحسية وتنجيه المعرفة الأشراقية والفيض الرباني.

وعلى هذا الأساس قد عالج مصطفى كامل الشيبي مشكلات التصوف الاسلامي من خلال البيئة الاسلامية ، وأصوله العربية والإسلامية ، وله تفسيرات وآراء لا تقل أهمية عن فلسفات المفكرين العرب أو المستشرقين ، وهذه شهادة أكدها طلاب الشيبي ومن حاور او قرأ شيئا عن الشيبي ، رحم الله شيخنا الجليل ، ورغم ان الباحث لم يدرس على يديه لكن أراؤه التي كتبها خلقت له طلاب كلما امتد الزمن ،وهذا الكلام الذي جاء في بحثنا مختصر عن فكره لاسيما في التصوف الإسلامي.

الكلمات المفتاحية:

١.التصوف

٢. الزهد

٣. مصطفى كامل

مصطفى كامل الشيبي

الزهد والتصوف في جهوده

المقدمة :

تنهض العلوم والمفاهيم والمصطلحات بالعلماء ، المنطق الرياضي يُعرف برسل والنسبية بأنشتاين والحب بقصة قيس وليلى ، وكذا الفكر الصوفي العراقي المعاصر يُعرف بالشيبي ولست مُبالغاً في ذلك لان الشيبي، وسمت مؤلفاته بالدراسات الأكاديمية الجادة والمتحررة من نظرات التعصب والانغلاق والجمود

الفكري ، وتحليله للآراء التي حاولت تشوه الفكر الصوفي لا سيما تلويح وتصريح بعض المستشرقين بعدم أصالة التصوف الاسلامي ، ولم يتخذ موقف المكفر او المُبدع لآراء الصوفية ولا متفلسف بما لم يتفلسف به الصوفية اذ نجد بعض الكُتاب اما يكفر ما ذهب اليه بعض الصوفية او ينسب لهم فلسفات ما انزل الله بها من سلطان، مثل وحدة الوجود التي قد يشبهها بعض الكُتاب بالفكر اليوناني او غيره من الاديان القديمة ، وفي هذا يقول الدكتور طه جزاع :" كان الشيبي يعلمنا آداب الصحبة الصوفية ومراحل التربية الصوفية (مقامات التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا) وأحوال الصوفية من (مراقبة وقرب ومحبة وخوف ورجاء وشوق وأنس وطمأنينة ومشاهدة ويقين) ويعلمنا تفسير الشطحات الصوفية وهي الكلمات التي ظاهرها مستشنع وباطنها صحيح سليم ، وهي التي كانت أحد الأسباب الظاهرية لصلب الحلاج (ت ٣٠٩هـ) القائل :

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذاً أنت أنا في كلّ حال.

(جزاع : طه، سيرة حياة وذكريات مع الراحل الكبير الشيخ كامل مصطفى الشيبي)

الفكرية ، ٢- الزهد في طروحات الشيبي، ٣- التصوف ، ومنهجي في هذا البحث وصفي وتحليلي .

اولاً : **<u>سيرته ومنهجه وأعماله الفكرية</u>:**

الشيبي ولد في بغداد/ الكاظمية ، في ٦نيسان ١٩٢٧، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس الكاظمية والاعظمية ، نال درجة الليسانس في الآداب من جامعة الاسكندرية في ((الفلسفة واللغة العربية)) سنة ١٩٥٠ وحصل على الماجستير في الفلسفة الاسلامية عام ١٩٥٨ بإشراف ابو العلا عفيفي ، وحصل على الدكتوراه من جامعة كمبردج سنة ١٩٦١، بإشراف اربري، وعمل مدرسا في كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٦١، واتيح له التنقل في جامعات عدة منها مصر وليبيا والولايات المتحدة والاردن استاذا زائرا ومنتدباً وباحثاً وتوفي في ٢٠٠٦/٩/٤ .

يقول الدكتور صالح مهدي هاشم: " العلامة الاستاذ الشيبي واحد من ابرز الاسماء التي افرزها القرن العشرين ، موسوعي **(الجابري، علي حسين، كامل الشيبي وتصويبه لاخطاء المستشرقيين)**، كتب في الفنون النقلية، كما اجاد وابدع في العلوم العقلية، كل ذلك بعبقرية واضحة، لو قيس بالعلماء الافذاذ الذين سبقوه او عاصروه لوجدناه بينهم علامة فارقة لا تخطئها العين ... مؤلف من اخصب

المؤلفين ، تميزت مؤلفاته بالعقلانية والاستيعاب والهيمنة على المواضيع التي كتب بها ، متمكن من ادوات الكتابة في الموضوع الواحد ، يشهد له طلابه عبر نصف قرن ، الذين ما انفكوا ينهلون من معين مصنفاته ، ويتخرجون بها علماء الى الناس في ازمانهم وحتى اليوم . **(هاشم، صالح مهدي، قبسات الشيبي الصوفية حوار فكري وموقف معرفي)**

أما عن منهجية البحث عند الشيبي، فنجده يرفض الخرافات ويتناول الشخصيات والمفاهيم تناولا مبنياً على العقل والمنطق " مُبتعداً عن التبجيل والتقديس للشخوص التاريخية الا من وجده أهلاً لذلك لتمتعه بالبطولة أو الزهد أو العلم الخ .. وقد امتاز تحليله للأحداث، ونقده للشخوص على أساس واقعي علمي دون التأثر بأي مسلمات وأفكار مسبقة او خبرات عامة ". **(الجبوري، ولاء مهدي: قراءة في منهجية الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع)**

أما عن أعماله الفكرية والصوفية، فهي بإختصار:

- الصلة بين التصوف والتشيع: تناول الكتاب الصلة بين التصوف والتشيع وعلى وفق نظرة تأريخية تحليلية مدققة على وفق الإتجاهات الفكرية التي ظهرت في الحياة الإسلامية . صدر الكتاب في طبعته الثالثة عن دار الاندلس ببيروت سنة ١٩٨٢ بجزئين يقع الجزء الاول (العناصر الشيعية في التصوف) في ٦٦٣ صفحة ويقع الجزء الثاني (النزعات الصوفية في التشيع) في ٥٣٥ صفحة.
- ديوان ابي بكر الشبلي، جعفر بن يونس المشهور بدلف بن مجدر، يرى المؤلف في الشعر الصوفي للشبلي نفحات وجدانية ويرى في الشبلي نفسه انموذجاً للشاعر الصوفي المعبر عن وجدان لا يتوقف ولا يُغلب ولا يقارن ومشاعر إنسانية تصدر في عبارة ليس فيها تخير فهو لم يعتنِ بجمال الألفاظ ولا تكلف في صناعته للمعاني الزهدية ، صدرت الطبعة الاولى من الكتاب عن مطابع دار التضامن بغداد سنة ١٩٦٧ ويقع في ٢٢٩ صفحة.
- الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، تناول فيه تاريخ الفرق المغالية والشبك ، والطبعة الاولى نشرت في بغداد ١٩٦٧. **(ورواسبها في الشيبي، الطريقة الصفوية راق المعاصر)**.
- ديوان الدوبيت في الشعر العربي، {الدوبيت تعني الرباعيات الشعرية } ويعد في سلسلة إهتمامات الدكتور الشيبي بالتراث الإدبي وخاصة أولئك الشعراء الذين يمثلون هذا النوع من الشعر في القرن السادس الهجري كالأرجاني والحموي

وغيرهم والهاجري والشاب الظريف وغيرهم من شعراء القرن السابع وابن المرحل والصفدي من شعراء القرن الثامن الهجري ولشعراء القرن التاسع والقرن العاشر الهجريين حفل دوبيت الشيبي بتراجمهم وشعرهم ، صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٧٢ ويقع في ٧٥٤ صفحة.

- ديوان الحلاج، فلعل اهتمام المؤلف بالحلاج هو ما حدا به إلى جمع اخباره واشعاره وبيان آرائه ومذهبه الصوفي والتفرغ الى جمع ديوانه وتحقيقه وتصديره وصدرت للكتاب طبعتان، اما الطبعة الاولى، فصدرت سنة ١٩٧٤ بينما صدرت الطبعة الثانية للكتاب عن دار أفاق عربية بغداد سنة ١٩٨٤ يقع في ١٧٩ صفحة.
- شرح ديوان الحلاج ، لعل ما تميز به الحلاج من شطحات متطرفة جادة جعلته عصياً على الباحث والقارئ على حد سواء فكل ما حفل به ديوانه يدعو الى مزيد من البحث والتعمق والى الشرح والتعليل والتأويل لبيان ما أشكل من عباراته وما اغمض من إشاراته على وفق الالفاظ اللغوية والاصطلاحية والشعرية التي طرقها الحلاج. صدرت الطبعة الاولى من الكتاب في جزئه الاول عن مكتبة النهضة بغداد سنة ١٩٧٤ ويقع في ٤٧٥ صفحة.
- الحلاج موضوعاً للآداب والفنون العربية والشرقية قديماً وحديثاً ، ويرى المؤلف في الحلاج شخصية متفردة متميزة في السلوك والفكر والمعرفة ما جعله أنموذجا للدرس والبحث والتقصي من جانب وموضوعاً للربط بين الماضي والحاضر أو بين التراث والمعاصرة اي بين التعلق بالرمز وبين التثبت بالتفصيلات تفنيداً صدرت الطبعة الأولى للكتاب عن مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٧٦م ويقع في ٤٥١ صفحة.
- ديوان (الكان وكان) في الشعر الشعبي العربي القديم ينهج الشيبي في هذا الديوان منهجية التصدير بمقدمة فنية وتقديم لنصوص مسبوقة بترجمة قصيرة لقائليها ومن ترتيب لها ترتيباً تنازلياً بحسب تاريخ وفيات قائليها صدرت الطبعة الاولى من الكتاب عن دار الشؤون الثقافية العامة بغداد سنة ١٩٨٧ وتقع في ٣٩١ صفحة.
- الحب العذري ومقوماته الفكرية والدينية حتى اواخر العصر الاموي، يثبت المؤلف في كتابه ، على وفق قراءة واقعية تاريخية كون الحب العذري ظاهرة إجتماعية خالصة ومألوفة ترسخت في البيئة العربية القديمة قبل الإسلام من جانب كون الإسلام لم ينه عن هذه الظاهرة ولم يقاومها من جانب آخر وكون

الحب نفسه ظاهرة انسانية تعلو على الزمان والمكان من جانب ثالث صدرت للكتاب طبعتان عن دار المناهل بيروت صدرت الطبعة الاولى١٩٩٧ في حين وردت الطبعة الثانية بلا تاريخ ويقع في١٦٠ صفحة.

- ديوان فن القوما، في الشعر الشعبي العربي القديم يرى المؤلف في القوما فناً نادراً وموسمياً وان تعددت ألوانه وطرازه، شعراؤه قليلون ونشأته وشهرته عراقية لأنه نشأ في أواخر الدولة العربية العباسية في العراق وانتشر في مصر والقوما من عنوان الكتاب هو المصطلح الذي يطلق على الشعر الشعبي الذي يخاطب المثنى او الاثنين حتى سجلت ظاهرة في الشعر العربي صدرت طبعته الاولى عن دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية في بغداد٢٠٠٠ ويقع في صفحة. ١٤٠
- صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، يعرض المؤلف في كتابه هذا صفحات مما قيل عن التصوف الإسلامي يبسطه ويتحرى ما غمض فيه ليكون قريباً من الاذهان بغير مفاجأة ويعد هذا الكتاب عصارة الممارسة التدريسية الاكاديمية للمؤلف للدرس الصوفي ولحقائق التصوف صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٧ عن دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ويقع في ١٩٠ صفحة.
- البهلول بن عمرو الكوفي، رائد عقلاء المجانين، يعرض المؤلف في كتابه هذا أنموذجاً مما حفل به تراثنا الغني العميق للجنون والزهد والشهرة حتى بلغ عصرنا من مسافة ثلاثة عشر قرناً، البهلول الذي يرقد في مقبرة الجنيد البغدادي، ظهر الكتاب في طبعته الاولى عن المكتبة العصرية بغداد ٢٠٠٤ ويقع في ١١٠ صفحة.
- ديوان السهروردي المقتول، يرى المؤلف في السهروردي الصوفي الفيلسوف الطبيب شاعراً متفرداً ومفكراً أديباً لايستغرب ان تصدر عنه عبارات من جوامع الكلم أستصفيت من تأملاته في اللإشراق وانصبت في بحر الروحانيات، قتل بسبب آرائه الجريئة في عصره صدرت طبعته الاولى عن مطبعة الرفاه في بغداد سنة ٢٠٠٤ويقع الكتاب في ١٦٠ صفحة.
- أصداء وملامح عربية واسلامية ، في رواية دون كيخوته (لثريا تنسي) تعد هذه الدراسة للمؤلف قراءة متعمقة مدققة لأثر أدبي عالمي ونص فني ترجم إلى أكثر من ستين لغة صدرت هذه الدراسة ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم (٢٤٠) عن دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠٢وتقع في ١٧٤ صفحة.

وللشيبي مشاركات في العديد من المؤتمرات الفكرية مثل مؤتمر الكندي في بغداد ١٩٦٣ ومؤتمر مركز الشرق الأوسط في الجامعات الأميركية في بوسطن ١٩٧٤ ومؤتمر الفارابي في بغداد ١٩٧٥ اضافة الى مؤتمرات اخرى. واشرف على العديد من الرسائل الجامعية في كلية الآداب جامعة بغداد وكذلك جامعة السابع من ابريل الزاوية– ليبيا، نال العديد من الجوائز والشهادات التقديرية منها جائزة جمعية اصدقاء الكتاب لعام ١٩٧٣ عن كتاب ديوان الدوبيت في الشعر العربي بيروت وشهادة تقديرية من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تثميناً للدور العلمي والتربوي وما ترك من بصمات للأجيال في ٢٠٠٣،وله شهادة تقديرية اخرى في المؤتمر القطري الثاني للفلسفة في عمادة كلية الآداب الجامعة المستنصرية ٢٠٠٣ .

(ينظر: علياء محمد : المفكر العراقي الرحل الدكتور مصطفى كامل الشيبي)

ثانيا :الزهد في طروحات الشيبي:

الزهد : يعد الزهد من اول الدروس الصوفية واول مراحل المعراج الروحي والشيبي يذهب الى ان هذا المفهوم عند الصوفية لا اصل له في القران ولكن ارباب الفرق والمذاهب يحاولون اثبات اصل قراني لما يذهبون اليه او كما يقول الشيبي :" ان لفظ الزهد لم يرد في القران الا مرة واحدة في سورة يوسف في اية : {وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين }**(سورة يوسف، آية ٢٠.)**

ولا تعبر هذه الآية عن مدلول معين للزهد ولا تتصل به ، ولكننا وجدنا كل عقيدة جديدة في الاسلام توصل بالقران " .**(المصدر نفسه، ج١ ،ص٢٦٠)**

ويذكر ايضا ان السري السقطي (ت ٢٥٣هـ) يوصل الزهد بنص القران بقوله تعالى { لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم }(الحديد٢٣) " ثم يشرح مرماه بقوله :(ان الزاهد لا يفرح بموجود ولا يتأسف على مفقود) ، وقد لمح القشيري الى اختلاف المتصوفة في تعريف الزهد فصرح بأنهم ((تكلموا عن معنى الزهد فكل نطق عن وقته وأشار إلى حده)). ويكفي ان نورد ان سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) قد ثار على الزهد الاول الذي تمثل في زهد الصحابة المادي في اللباس والطعام فنفى ان يكون الزهد ((أكل الغليظ ولا لبس العباء)) وكان في مقاله هذا يحاول ان يتطور بالزهد ويقلل من اندفاع المسلمين الى لبس الصوف " (–**المصدر نفسه ،ج ١،ص ٢٦٠)**

ويؤكل الشيبي على التفرقة بين الزهد الذي جاء به الإسلام والزهد المنظم الذي نادى الصوفية به لا سيما في الكوفة والبصرة والشام و" ان الاسلام كان من أصول الزهد الأولى، ذلك ان الاسلام قد جاء ليحارب الارستقراطية القرشية ويرتفع بمستوى

الأجراء والفقراء بالإضافة الى الدعوة الدينية الروحية . وقد كان صبغ الاسلام دعوته بالزهد والتقشف العلامة المميزة له عن النظام القرشي في مكة والشعار الذي يلتف بمقتضاه الضعفاء والمحرومون والعبيد حول النبي – ﷺ – ويدخلون في دين الله افواجا " **(المصدر نفسه ، ص ٢٦٣)**

إضافة الى محاربة الإسلام للرهبنة ولم يمنع فقراء المسلمين من الزواج ويقول ان " عبد الله بن عباس يقول :(لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح) فعرفنا ان كل ما يقال عن اتصال اصول الزهد بالمسيحية ورهبنتها بعيدة الصدور عن حقيقة مبينة . وهكذا دخل الزهد في قلوب المسلمين منذ اللحظة الاولى وكان شعارا بل ضرورة من ضروراته بحكم كون الفقر والجوع الأمرين السائدين في العالم المكي والعربي . ولهذا فليس من المستغرب ان يروى عن النبي – ﷺ – انه قال : ((يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام)) وعلى ذلك فاننا مضطرون الى ان نرى انه ليس دقيقاً ، ام لم يكن باطلاً ، رأي فيليب حتي الذي يرى

فيه انه (كان التصوف – ويقصد به الزهد – في بدئه مقصوراً على الحياة الزهدية القائمة على الإعتزال والتامل كما كان الحال عند النساك النصارى) الا اذا كان يعني به الزهد الذي نضج في القرن الثاني بعد ان دخلته ثقافات وتقاليد من خارج الدين الإسلامي " **(المصدر نفسه،٢٦٣)**.

وخلاصة آرائه في الزهد في الاسلام يعود الى عاملين :

١- عامل إجتماعي اسلامي ينعكس من محاربة الاستقراطية بإشاعة المظهر الزهدي في الاسلام والمسلمين وقطع الطريق على الملأ المكي في الدس له والدخول فيه تظاهرا ثم القضاء عليه .

٢- عامل نفسي استشفه المسلمون من رسالة الإسلام ومن عذاب الآخرة الذي يرد ذكره في القران ومن التخويف بالنار **(العبيدي ، حسن مجيد: قراءة في منهجية الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابة الصفة بين التصوف والتشيع.)**

والزهد في رأيه : واحد من الصور الأصيلة التي يدعو لها الاسلام ، بغية نزول الاثرياء الى مستوى الفقراء ليتم جمعهم ، وكسب عطفهم ، وحماسهم ،ثم يؤكد على سلوك المسلمين الأولين بما فيهم الخلفاء في لبسهم ما خشن من اللباس ، وأكلهم ما كان بسيطاً من الطعام ، ويرى بان ذلك السلوك منهم لم يكن عن عبادة وخشوع ، بل كان من طبيعة الاسلام التي دخلت نفوسهم وتقمصتها .

ثالثا

التصوف:

لقد شرق وغرب الباحثون والكتاب حول مفهوم التصوف ، إلا أن الشيبي اختصر الطريق ودخل للتصوف من أول شخص تسمى بالتصوف وعرج على أهل الارض ورجالها ، فقال :" إن أول من تسمى بالصوفي كان كوفياً ... والباحثون مختلفون في من هو اول من تسمى بالصوفي وتدور أخبارهم في هذا الشأن حول ثلاث من الزهاد الكوفيين هم جابر بن حيان وابو هاشم الكوفي وعبدك الصوفي " **(الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع، ج١،ص ٢٨٤،)** ويرى الشيبي ان لفظة صوفي تعددت الآراء فيها

وأول ظهور لها في عام ١٥٠هـ وهو العام الذي توفي فيه أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي الصوفي**(المصدر نفسه ، ص ٢٨٧-٢٨٨)** ويوضح أن بدايات التصوف الإسلامي بدء في الكوفة من خلال الزهد البسيط في اللبس " وطغى عليها في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني حتى صار شعاراً للزهاد اولا ثم اطلق على الزهد نفسه فصار له إصطلاحاً وذلك هو الصوف الذي اشتق منه التصوف "**(هاشم، صالح مهدي، قبشات الصيفي الصوفية حوار فكريوموقف معرفي)**

ويؤكد الشيبي بالأدلة أن لبس الصوف كان دأب الأنبياء والنساك وتقليداً للرهبان ، وفي الإسلام إذاً اول من تسمى به رجالا من الكوفة اما عن الشام ومصر، فيقول :" واذا ما عرفنا انه لم يرد للبس الصوف في الشام ولا مصر التي يسميها ميتز ((مهد الرهبنة)) وان اول من تسمى صوفياً فيها كان أبا عبد الله الصوفي الثائر الاندلسي بالاسكندرية (سنة ١٩٩هـ / ٨١٤- ٨١٥) ولم يرد عنه لبس الصوف ، ثمّ ان هذا التاريخ المتأخر لا ينفي شيئاً ولا يثبت وإنما يدل على ان انتشار لبس الصوف، حتى على فرض اتصاله بالرهبنةٌ ، لم يتحقق إلا في الكوفة معاصراً لحركة نشر الترف الظاهري مما رأيناه في خبر المسعودي " **(المصدر نفسه ، ص ٩٥)** والتصوف دخل إلى الفلسفة عن طريق المفاهيم التي زاحمت الفكر الفلسفي في الإتحاد والحلول والإشراق والعلم اللدني ، والاتصال بالله والفيض الرباني ، وأن الصوفية لم يضعوا منهجاً محدداً فطُرق الصوفية بعدد رجالها .

وعن أثر التصوف في شخصية وفكر الشيبي يذكر الدكتور صالح مهدي ان " العلامة الاستاذ الشيبي زاهد متصوف ، لم يمارس وجد الصوفية ولم يدخل في تفاصيل رياضتهم ، بل تخلق بخلقهم ، واتخذ من نكران الذات عندهم ، والإيثار

على أنفسهم مسلكاً في حياته ، لم يبحث مثلهم ، مسائل الحياة على سبيل التعصب مطلقاً ، كان يدعو احياناً الى تمجيد وحب أهل الديانات كافة ، وحب الصحابة من المسلمين كلهم ، والتعامل مع المسلمين بما يستحقون كما شهد له بذلك مستمعو محاضراته ، لم

يعرف عن الشيبي انه اعتذر لأي من اصحاب الشطح الصوفي ، او انه غفر لهم اقوالهم تلك ، كما فعل غيره من السابقين او اللاحقين او المعاصرين له ، او الذين اعتذروا عن اقوال الحلاج الشطحية وهفوات ابي يزيد ، وعلى الخصوص في مقالتيهما {انا الحق} و{سبحاني ما اعظم شأني} مثلما غفر لهم نصير الدين الطوسي مبرراً حديثهما بقوله (ان اياً منهما لم يدعِ دعوى الإلهة بل دعوى نفي أنيته ليثبت أنية غيره وهو المطلق) ، كما غفر لهما من قبل حجة الإسلام الغزالي وفعل الشيء نفسه بعد ابن خلدون ، وبالمعنى نفسه "(**المصدرنفسه، ص٩٥-٩٦**

ومن خلال حوارات الدكتور مع الشيبي نجد كلام للشيبي يعكس مدى اثر الصوفية على الشيبي في قوله " في مخالطتي لأثار الصوفية والمتصوفة والمتكلمين : مخالطة ذهنية وروحية تعلمت منهم المثالية والتسامح ، وانتهيت إلى قناعة كاملة في الحياد الفكري ، إذ اكتشفت ان المفكرين ينتهون إلى قناعة فكرية ينطلقون منها إلى استكمال الأراء ، لسبب وجيه يدفعهم إلى ذلك ، ووجدت ان قناعتهم، لها مسوغاتها ، ومن هنا لم أجد ضرورة لتخطئتهم والوقوف ضدهم ، بل صادقتهم وعرضت آرائهم عرض جار وصديق حميم فأنا لا أتظاهر بمظاهر الصوفية في اللباس والتصرف ، وتمثيل الرقة مرة والشدة اخرى فان في داخلي أخلاقهم ، ومن ذلك تقمصتُ قول الجنيد : التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف " (**المصدر نفسه ، ص ٩٥-٩٦**)

ولم يذهب الشيبي إلى ماذهب إليه أغلب المستشرقين ومن قلدهم من المسلمين الى ان التصوف ذو أصول غير اسلامية وغير عربية ، فهو يرى " التصوف العربي الأسلامي ... هو في الأساس زهد الرسول الكريم واعتكافه بعيداً عن الناس في جبل حِراء وفي غيره وهو كذلك زهد الصحابة الكرام وعبادة التابعين وتابعي التابعين من السلف الصالح ، أولئك النساك العاكفون على العبادة ، المنقطعون إلى الله تعالى ، المعرضون عن زخرف الدنيا وزينتها ، الزاهدون فيما يقبل عليه جمهور الناس من لذة ومال وجاه ... كان الزهد فاشياً في الرعيل الأول من الصحابة وكانت حياة الخلفاء الراشدين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب (رضي الله عنهم)، وسيرة بلال الحبشي وسلمان

الفارسي وصهيب الرومي ، وسلوك أُبي بن كعب ، وتميم الداري وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان ومصعب بن أمير وغيرهم (رضي الله عنهم)، قد يفوقون العد ولا يبلغهم الحصر ، يمكن ان تعد بذوراً أولى اينعت منها لوحة الحياة الروحية التي زكت وامتدت أغصانها ، وأينعت ثمارها ، فكانت مقدمات التصوف " **(هاشم، المصدر السابق ، ص ٩٧)**

وهو يوافق ماذهب اليه ابن خلدون من أن التصوف من العلوم الحادثة في الملة **(المصدر نفسه ، ص ٩٧.)**وكان الزهد كما يرى الشيبي هو سمة العصر الأول الذي مهد للتصوف طرقه ورجاله " وبعد حين من الزمن ، في القرن الثاني للهجرة / القرن الثامن للميلاد على التحديد ، حينما اتسعت رقعة الارض على المسلمين { ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً}، وعم الخير ، فشا الإقبال على الدنيا ، عندها اختص هؤلاء القوم المنقطعون الى الله بطريقتهم ولم يجنحوا، كما جنح الناس، للإقبال على الدنيا، بل مضوا الى سبيل ربهم ولم تغرنهم الحياة الدنيا وزينتها بل اعتزلوها بأساليب اختصوا بها ، وبممارسات عرفوا فيها، ووسمتهم باسم ((الصوفية او المتصوفة)) وأول رواد التصوف كان الشيخ معروف الكرخي {ت ٨١٥م / ٢٠٠ هـ } لأنه اول زاهد استحق اسم التصوف بمعناه الشامل الكامل، وذلك لا عن لقب ونسب وإنما عن فكر ونهج ورأي ".

ومع معروف الكرخي، في بغداد استقر التصوف واصبح" له قواعده وممارساته العملية وفكره ونظره، فقد صار الزهد المتوارث مدرسة، نظم فيها نفسه، ولملم أوراقه، ونسق أفكاره، صار علماً له منهجه الروحي وسلوكه المعروف ومجاهداته الصوفية ، ومر بتجارب وتراكم خبر عبر السنين، ثم أضحى أساسا من الأسس الفكرية ، وركيزة من ركائز التراث العربي الاسلامي، امتلك رؤية متميزة حول الانسان والوجود ، وبات نقلة معرفية للإنسان المسلم، خلق لغته الخاصة ورموزه المتعارفة التي تميزت بالرمزية الشديدة، أعطت المفردات معاني ودلالات توليدية بقرائن بعيدة عن أصولها القاموسية، ضمن اتجاه الصوفية لاختراق المسلمات في العقائد والافكار واللغة ، وعلى الخصوص بعد ان شهد مع الغزالي (٥٠٥هـ/ ١١١١م) زخماً استوعب العصر كله ، حتى صار له في الحياة الروحية شأن واي شأن ".

ويذكر الشيبي ان في القرن السادس الهجري ظهر اول صاحب طريقة كان في العراق وهو الشيخ عبد القادر الكيلاني (٤٧١-٥٦١هـ)، وفي هذا الموضوع اشار نكلسون الى ان الطرق الصوفية قد تأسست قبل "الغزو المغولي ، اي قبل

٦٥٦هـ ١٢٥٨ م ، وان كانت هذه الطرق قد تعددت وتشعبت منذ القرن الرابع عشر الميلادي { الثامن الهجري } في جميع الاتجاهات من السنغال غرباً الى بلاد الصين شرقاً وهذه الطرق ولو انها مؤسسة على مبادئ التصوف الاسلامي في العصور الوسطى قد ظهرت فيها نظم معقدة فتوسعت في معاني ما أخذته على الأصل وزادت الجديد من عندها ، وفي كثير من الحالات تغيرت فيها روح الأصل تحت عوامل محلية او تيارات سياسية (" **الشيبي ، مصطفى كامل ، الصلة بين التصوف التشيع**).

ومما يؤكده الشيبي حول تطور التصوف بعد القرن السادس الهجري فقد اصبح هنالك سعة في الفكر ، ومزج المعارف المختلفة " فلم يعد الذوق والوجد وحدهما دليلا للحقيقة ، بل كان للعقل والنظر موقف . خلطوا مسائل الكلام والفلسفة بعلمهم الذوقي وفنهم الروحي، على وفق منهجهم الذي ميزهم عن أركان الفكر الفلسفي العربي الإسلامي، ونعني به على وجه الخصوص علم الكلام وعلم اصول الفقه والفلسفة بصيغتها العربية الاسلامية ، يعتمدون في معرفة الذات الإلهية وصفاتها وافعالها وحكمتها ، ببراهين وحجج ، على وفق خط مشترك بين اهل الكلام واهل الفلسفة بما لديهم من أصول عقلية ، مصاغة بوجه ما بالوسائل الصوفية بما فيها من روحانية وإشراق " (**هاشم ، المصدر السابق ص ٩٧**)

الخاتمة :

قد عالج الشيبي في كتاباته ومحاضراته وحواراته قضايا فكرية فلسفية صوفية، وقد يعد البعض ان التصوف ليس له علاقة بالفلسفة ، ونحن نقول إن التصوف عالج مشكلات في فلسفة الوجود والمعرفة ، ففي الوجود قد ينكر السالك وجوده ويبقى في الوجود الإلهي ، وقد لا تسعفه المعرفة العقلية والحسية وتنجيه المعرفة الأشراقية والفيض الرباني .

وعلى هذا الأساس قد عالج مصطفى كامل الشيبي مشكلات التصوف الاسلامي من خلال البيئة الاسلامية ، وأصوله العربية والإسلامية ، وله تفسيرات وآراء لا تقل أهمية عن فلسفات المفكرين العرب أو المستشرقين ، وهذه شهادة أكدها طلاب الشيبي ومن حاور او قرأ شيئا عن الشيبي ، رحم الله شيخنا الجليل ، ورغم ان الباحث لم يدرس على يديه لكن أراؤه التي كتبها خلقت له طلاب كلما امتد الزمن ،وهذا الكلام الذي جاء في بحثنا مختصر عن فكره لاسيما في التصوف الإسلامي.

المصادر

١-جزاع : طه، سيرة حياة وذكريات مع الراحل الكبير الشيخ كامل مصطفى الشيبي ،جريدة المدى اليومية ، جريدة سياسية يومية ، رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير فخري كريم ، الأربعاء ٠٩-٠٢- ٢٠١١، ويلاحظ ايضاً : د.علياء محمد، المفكر العراقي الراحل الدكتور كامل مصطفى الشيبي، جريدة ((الجريدة)) يومية سياسية عامة .. تصدر عن الحركة الاشتراكية العربية، رئيس التحرير قيس العزاوي، . تصفح العدد (٢٦٩) الخميس ٢ اذار ٢٠٠٦م
٢-ينظر : الجابري ، علي حسين ، كامل الشيبي وتصويبه لاخطاء المستشرقيين – ماسينون مثلاً- ، بحث منشور ضمن كتاب الدكتور كامل مصطفى الشيبي سياحات فكرية في ريادته الصوفية مجموعة باحثين ، بغداد بيت الحكمة ، ٢٠٠٨ ، ص ٣١٦.
٣-هاشم، صالح مهدي ، قبسات الشيبي الصوفية حوار فكري وموقف معرفي ، ضمن كتاب الدكتور كامل مصطفى الشيبي سياحات فكرية في ريادته الصوفية ، ص ٩٣
٤-الجبوري ، ولاء مهدي : قراءة في منهجية الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع ، ضمن كتاب { الدكتور كامل مصطفى الشيبي سياحات فكرية في ريادته الصوفية }، ص ٥٩ وهذ البحث للدكتورة ولاء مهدي منشور ايضاً في مجلة دراسات في التاريخ والاثار ، عدد ٢٥ سنة ٢٠١١ رئيس التحرير د. حسن علي سبتي ، تصدر المجلة عن كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ص ٢٦٧ . الع
٥-ورواسبها في الشيبي ، الطريقة الصفوية راق المعاصر ، مكتبة النهضة بغداد ، ط١ ، ١٩٦٧.
٦-ينظر : علياء محمد : المفكر العراقي الرحل الدكتور مصطفى كامل الشيبي ، جريدة الجريدة – مصدر سابق- وطه جزاع – مصدر سابق - و ينظر : الجابري ، علي حسين ، كامل الشيبي وتصويبه لاخطاء المستشرقيين – ماسينون مثلاً- ، بحث منشور ضمن كتاب الدكتور كامل مصطفى الشيبي سياحات فكرية في ريادته الصوفية مجموعة باحثين ،ص ١٦.
٧-سورة يوسف، آية ٢٠.
٨-الشيبي ،الصلة بين التصوف والتشيع ج ١، منشورات الجمل بغداد، ج١، ص ٢٥٩.
٩-المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦٠.
١٠-المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٠.
١١-المصدرنفسه ،ص ٢٦١-٢٦٢.
١٢-المصدر نفسه ، ص٢٦٣.
١٣-المصدر نفسه ، ص ٢٩٠.
١٤-العبيدي ، حسن مجيد : قراءة في منهجية الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع ، ضمن كتاب ، الدكتور كامل مصطفى الشيبي سياحات فكرية في ريادته الصوفية ، ص ٥٤.
١٥-الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع، ج١ ، ص ٢٨٤.
١٦-المصدر نفسه، ص ٢٨٧ -٢٨٨.
١٨-هاشم، صالح مهدي ، قبسات الشيبي الصوفية حوار فكري وموقف معرفي ، ضمن كتاب الدكتور كامل مصطفى الشيبي سياحات فكرية في ريادته الصوفية ، ص ٩٩٣-٩٤.

١٩-لمصدر نفسه، ص٩٥.
٢٠-هاشم ، المصدر السابق ص ٩٦
٢١-ابن خلون : المقدمة ،بيروت ، ١٩٧٨، ص ٤٦٧.
٢٢-المصدر نفسه ، ص ٩٥-٩٦
٢٣-المصدر نفسه، ص ٩٧.
٢٤-هاشم ، المصدر السابق ص ٩٧

المستخلص

قد عالج الشيبي في كتاباته ومحاضراته وحواراته قضايا فكرية فلسفية صوفية، وقد يعتبر البعض ان التصوف ليس له علاقة بالفلسفة ، ونحن نقول إن التصوف عالج مشكلات في فلسفة الوجود والمعرفة ، ففي الوجود قد ينكر السالك وجوده ويبقى في الوجود الإلهي، وقد لا تسعفه المعرفة العقلية والحسية وتنجيه المعرفة الأشراقية والفيض الرباني. وعلى هذا الأساس قد عالج مصطفى كامل الشيبي مشكلات التصوف الاسلامي من خلال البيئة الاسلامية ، وأصوله العربية والإسلامية، وله تفسيرات وآراء لا تقل أهمية عن فلسفات المفكرين العرب أو المستشرقين، وهذه شهادة أكدها طلاب الشيبي ومن حاور او قرأ شيئا عن الشيبي، رحم الله شيخنا الجليل، ورغم ان الباحث لم يدرس على يديه لكن أراؤه التي كتبها خلقت له طلاب كلما امتد الزمن ،وهذا الكلام الذي جاء في بحثنا مختصر عن فكره لاسيما في التصوف الإسلامي.

Mustafa Kamel al-Shaibi and his intellectual efforts and mystical record.

: Tagreed Gead Dari
University of Baghdad
College of Arts
: TagReeddir@gmail.com

Abstract

Alshaibi dealt with intellectual, philosophical Sufi cases in his discussions, writings and lectures, some consider that Sufism has no relation with philosophy, but we say that Sufism treated issues in existing and knowledge philosophy, In existence, the righteous may deny his existence and remain in the divine presence, and the mental sensory knowledge might not help him, the knowledge of the illuminations and the lords flood will save him. Basing on this, Mostafa Kamel Alshaibi dealt with the issues of Islamic Sufism Through the Islamic environment and his Arabic and Islamic origins, and his interpretations and opinions are no less important than the philosophies of Arabs thinkers or orientalists, and this is a certificate confirmed by the students of Shabibi and those who read or spoke about him, may God mercy on him. Despite the fact that the researcher wasn't taught by Shaibi, but the opinions that he wrote got him to have students over time, and what is written in this research is a brief to his idea especially in Islamic Sufism, I hope that time will help me to write more about him and he really deserves more.

Key words
1.Sufism
2. asceticism
3. Mostafa Kamel